

مجمع الأمثال

655 - تَسْمَعُ بِالْمَعْيَدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .

ويروى " لأنّ تَسْمَعَ بالمعيدي خير " و " أنّ تَسْمَعَ " ويروى " تسمع بالمعيدي لا أن تراه " والمختار " أن تسمع " .

يضرب لمن خَيْرُهُ خَيْرُ مَنْ مَرَّآه ودخل الباء على تقدير : تُجَدِّثُ به خير .

قال المفضل : أولُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ المنذر ابن ماء السماء وكان من حديثه أن كُبَيْدِشَ ابن جابر أخا ضَمْرَةَ بن جابر من بني نَهْشَلٍ كان عَرَضَ لَأَمَةٍ لزرارة بن عُدُسٍ يقال لها رُشَيْدَةَ كانت سَيِّدِيَّةً أَصَابَهَا زُرَّارَةٌ مِنَ الرَّفِيدَاتِ وهو حي من العرب فولدت له عمرا وذُوَ يَبَا وبُرْغوثا فمات كُبَيْدِشُ . وترعرع الغِلْمَةُ فقال لقيط بن زرارة : يا رُشَيْدَةَ مَنْ أَبُو بَنَدِيكٍ ؟ قالت : كُبَيْدِشُ بن جابر قال : فاذهبي بهؤلاء الغِلْمَةُ فغَلَسِي بهم وجه ضمرة وخَبَّرِيه مَنْ هُمْ وكان لقيط عدوا لضمرة فانطلقت بهم إلى ضَمْرَةَ فقال : ما هؤلاء ؟ قالت : بنو أخيك فنتزع منها الغِلْمَةَ وقال : الدَّحَقِي بِأَهْلِكَ فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر فركب زُرَّارَةٌ وكان رجلا حلما حتى أتى بني نَهْشَلٍ فقال : رُدُّوا عَلَيَّ غِلْمَتِي فسيبهُ بنو نهشل وأهْجَرُوا له فلها رأى ذلك انصرف فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : خيرا ما أَحْسَنَ مالقيني به قومي فمكث حولا ثم أتاهم فأعادوا عليه أسْوَأَ ما كانوا قالوا له فانصرف فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : خيرا قد أَحْسَنَ بنو عمي وأجملوا فمكث بذلك سبعَ سنين يأتهم في كل سنة فيردونه بأسوأ الرد فبينما بنو [130] نهشل يسرون ضُحَى إِذْ لَحِقَ بِهِمْ لَدْحِقٌ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ زُرَّارَةَ قَدِ مَاتَ فَقَالَ ضَمْرَةُ : يا بني نهشل إنه قد مات حلیم إخوتكم اليوم فاتقوهم بحقهم ثم قال ضمرة لنسائه : قِيفْنَ أَقْسَمُ بينكن الثكل وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأةٌ يُقَالُ لَهَا خُلَيْدَةُ من بني عجل وسَبِيَّةٌ من عبد القيس وسَبِيَّةٌ من الأزدي من بني طَمَثَانَ وكان لهنَّ أولاد غيرَ خُلَيْدَةَ فقالت لهند وكانت لها مُصَافِيَةٌ : ولى الثكلَ بنتَ غيرِكِ ويروى وَلِيَّ الثكلَ بنتَ غيرِكِ على سبيل الدعاء فأرسلتَها مثلا فأخذ ضمرة شِقَّةً بن ضمرة وأمه هند وشهابَ بن ضمرة وأمه العبدية وعَدْوَةَ بن ضمرة وأمه الطمثانية فأرسل بهم إلى لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ وقال : هؤلاء رُهْنٌ لَكَ بِغِلْمَتِكَ حَتَّى أَرْضِيكَ مِنْهُمْ فَلَمَّا وَقَعَ بِنِوَضَمْرَةَ فِي يَدَيْهِ لَقِيْطُ أَسَاءَ وَلايَتَهُمْ وَجفاهم وأهانهم فقال في ذلك ضمرة بن جابر : .

صرمتُ إِخَاءَ شِقَّةً يَوْمَ عَدْوَلٍ ... وَإِخْوَتَهُ فَلَا حِلَّاتٍ حِلَالِي .

كأني إذ رَهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي ... دَفَعْتَهُمْ إِلَى الصُّهُبِ السَّبَالِ .

ولم أره نذهمم بدم ولكن ... رهنهمم بصلح أو بمال .
صرمت إزاء شقة يوم غول ... وحق إزاء شقة بالوصال .
فأجابه لقيط : .

أبا قطن إنني أراك حزينا ... وإن العجول لا تبالي حزينا .
أفي أن صبرتم نصف عام لحقنا ... ونحن صبرنا قبل سابع سنينا .
فقال ضمرة [بن جابر] : .

لعمرك إنني وطلاب حبيبي ... وترك بني في الشرحط الأعادي .
لمن نوكى الشيوخ وكان مثلي ... إذا ما ضل لم يندعش بهاد .
ثم إن بني نهشك طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطلبهم من لقيط فقال لهم
المنذر : نحوا عني وجوهكم ثم أمر بخمر وطعام ودعا لقيطا فأكلا وشربا حتى إذا أخذت
الخمير منهما قال المنذر للقيط : يا خير الفتيان ما تقول في رجل اختارك الليلة على
ندامى مضرب ؟ قال : وما أقول فيه ؟ قال : إنه لا يسألني شيئا إلا أعطيته إياه غير
الغلامه قال المنذر : أما إذا استنيت فلست قابلا منك شيئا حتى تعطيني كل شيء
سألتك قال : فذلك لك قال : فإني أسألك الغلطة أن تهبهم لي قال : سألني غيرهم قال :
ما أسألك غيرهم فأرسل لقيط إليهم فدفعهم [ص 131] إلى المنذر فلما أصبح لقيط لاهمه
قومه فندم فقال في المنذر : .

إنك لو غطيت أرجاء هوة ... مغمسة لا يستتار ترابها .
بثووك في الظلماء ثم دعوا وتدي ... لجئت إليها سادرا لا أهابها .
فأصبت مودا على ملاء ما ... كأن نضيت عن حاض لي ثيابها .
قال : فأرسل المنذر إلى الغلطة وقد مات ضمرة وكان صديقا للمنذر فلما دخل عليه
الغلطة وكان يسمع برشقاة ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رآه قال : تسمع
بالمعدي خيرا من أن تراه فأرسلها مثلا قال شقة : أبيت اللعن وأسعدك إلهك إن
القوم ليسوا برجوزر يعني الشاء وإنما يعيش الرجل بأصغر يه لسانه وقلبه
فأعجب المنذر كلامه وسره كل مارأى منه قال : فسماه ضمرة باسم أبيه فهو ضمرة بن ضمرة
وذهب قوله " يعيش الرجل بأصغريه " مثلا وينشد على هذا : .

ظننت به خيرا فقص رونه ... فيارب مظنون به الخير يخلف .
قلت : وقريب من هذا ما يوحى أن الحجاج أرسل إلى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل
فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيشفيه بجواب ما يسأله فيرفع عبد الملك
رأسه إليه فيراه أسود فلما أعجبه طرّفه وبيانه قال متمثلا : .
فإن عرّار إن يكن غير واضح ... فإني أوحب الجون ذالمناكب

الْعَمَمُ .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين هل تدري مَنْ عَرَّارٌ ؟ أنا وإِعرار بن عمرو بن شأس الأسي الشاعر